المعالم العامة لنظرية الأدب الإسلامي

تأليف: د. الطاهر محمد علي
عرض د. محمد علي داود

■■ كتاب من القطع المتوسط، يقع في ١١١ صفحة عدا الفهارس، وهو من مطبوعات دار جامعة أم درمان الإسلامية ١٤٠٤/١٩٨٤م، وقد ضم الكتاب ستة فصول:

الفصل الأول: لماذا الأدب الإسلامي

وضّح فيه العلاقة بين العقيدة التي ترتبط بكيان الفرد والأدب، فالفن والأدب مسألة شعورية وجدانية تلتقي فيها أصالة المؤمن الأديب بالدين، كما يرتبط في كل جوانبه بغاية اجتماعية نابعة من تحديد مفهوم العقيدة والسلوك الإنساني، الذي يمثل أرقى ما وصلت إليه الأديان. ثم يتحدث عن ضرورة الأدب الإسلامي لحفظ الهوية الإسلامية والتراث الإسلامي من الانجراف أمام التيارات الوافدة، أما غايته: فهي تجديد فهم القيم الإنسانية العامة في الحق والخير والجمال حسب سلامة العقيدة وتوحيد غاياتها، ولذلك كان مما تقوم عليه العاطفة السليمة والفطرة السوية، كما يوجب على الأديب الإسلامي أن يكون ذا مقدرة ثقافية علمية بطبائع الإنسانية ونزعاتها، أما شكله فيقوم على مواصفات الصورة الفنية والأداء الجميل الذي يثير في النفس الانفعال أو يحرك فيها حاسة الجمال. أما في الفصل الثاني فيرى أن أساس الأدب الإسلامي يتجسد في تصوير الحق والخير والجمال في الحياة، في إطار فهم الإنسان للقيم الإلهية، كما يقوم على الواقع، ويرفض التصوير المنحرف والخيال المجنح، ويتعرض لمفهوم الحق في القرآن الكريم بالنسبة لله وللمخلوقين، ويبين أن مرتكز الأديب الإسلامي هو العقيدة الصحيحة التي تحدث عنها الإسلام، ويمثل لذلك من القرآن الكريم، ثم يتحدث عن موقف الإسلام من الشعر، ثم يتعرض لمحاور التجربة الشعرية من صدق ومعاناة واقتناع ذاتي وإخلاص فني ثم يتحدث في الفصل الثالث: مفهوم الخير في المنظور الإسلامي: فيبين أنه الفائدة النهائية من صياغة التجربة الفنية الشعورية، وما يمكن أن تعمقه في ذهن الأديب، حتى تؤدي التجربة إلى فائدة إنسانية عامة، فالخير غاية من إيحائيات الأدب وهدف ينشده الأدب الإسلامي، والالتزام فيه مقيد بمدلول الخير الواسع، ويشير المؤلف إلى أن الإسلام صفة للنص والأدب، ولا تطلق على الأديب إلا إذا أدرك النقاد عمق فهم الأديب الفني لأسس الأدب الإسلامي وتجربته، ثم يبين أن الواقعية الإسلامية لا ترسم صورا مزورة ولكنها تكشف الواقع بهدف الإصلاح. وفي الفصل الرابع: الجمال في المنظور الإسلامي ذكر أن حب الجمال فطرة إنسانية، وتأثيره في النفس دليل على سلامتها ونقائها، والجمال عنصر الأشياء وتصويرها في أتم نورها، ومرجعه إلى روعة الشيء نفسه أو التناسق والتناسب أو في وحدة التجانس، ويقوم في الأدب الإسلامي على اللغة لما فيها من جماليات متعددة وعلى الكلمة قامت معجزة القرآن الكريم، ويذكر من القرآن الكريم ما يدعو إلى تربية المزاج الجمالي للإنسان استشعارا لقدرة الله في صنع كل شيء، ويذكر منه ما يعبر عن طبيعة الإنسان في إدراكه للجمال. ويوضح أن الجمال في الفن الإسلامي ليس من الكماليات، ويتحدث عن الإسلام الذي هو المثل الأعلى الذي غايته الوصول إلى الخير في الدارين ووسيلته تحقيق الجمال في كل شيء، والأدب يحقق الغايتين إذا صدر من نفس أمينة.

وفي الفصل الخامس: أدب النبوة يؤكد أنه أفضل نموذج يحتذى، فقد توافر فيه الحق والخير والجمال بما حوى من بيان رائع ومنزلة عليا وفن جميل ولقد كانت دعوته أعظم دعوة على الرغم مما قابلها من معوقات، ويمثل لروائع من أدب النبوة الذي ألقى الله عليه القبول والمهابة، مما جعل العرب ينبهرون به بعد تأثير القرآن الذي كان عنيفا على نفوسهم، ثم بين الفرق بين شعراء الإسلام وغيرهم في التزام الحق والغاية الخيرية والوسيلة الجمالية، ويعرج على استماع الرسول ﷺ للشعر موردا بعض ما ضمّنه تاريخ الأدب عن ذلك. كما يبين أن الشعر الإسلامي يحمل ملامح الإيمان والتضحية في سبيل الغاية السامية، كما يذكر رؤية بعض الصحابة نحو المقياس الإسلامي للشعر وضرورة جمعه الحق والخير والجمال، ثم يتناول اتهام الأدب الإسلامي بالضعف في فجر الدعوة، ويعدد الأسباب التي رواها القدامى والمحدثون من قول أبي عمرو بن العلاء «الشعر لا يعلو إلا في الشر فإذا اتجه إلى الخير ضعف» وانبهار الشعراء بالقرآن.. الخ. ثم يتناول في الفصل السادس: الأدب العربي الحديث من منظور إسلامي فنا ومنهجا: فيبين سبب الدعوة إلى تنظير الأدب العربي في مفهوم إسلامي ويرجعه إلى ظهور ملامح اليقظة الإسلامية ليصحح العلاقة بين الأدب والعقيدة حتى تتضح الغاية في عمل فني متكامل. وهو ينبع من التزام الأديب بعقيدته لا من إلزام الأمة، ويقوم على العقيدة الصحيحة، وغايته نبيلة، وساحته واسعة إلا ما خرج عن الفطرة السوية ويناقش التسمية، وفهم البعض لها فهما قاصرا.

ثم يتناول المذاهب النقدية فيبدأ بالكلاسيكية: ظهورها ومقوماتها، وما يقابلها من حركات في الأدب العربي وما لا ينطبق منها على أدبنا، ثم يعرج على الرومانسية كذلك، ويتحدث عن مساوئها مما يرفضه الإسلام من فصل الأدب عن المبادئ والأخلاق، والانطواء، ثم يوجز القول في المذهب الطبيعي مخاطره في القصة والمسرحية من كشف لما يثير الشهوات، ويبين أن هذا المذهب لا يحفل بالآداب ويحتقر الأديان ويوظف الأدب في الصراع الطبقي. ثم يشير إلى ما يوازي ذلك في الأدب الغربي